ثمن الكرامة وفلسفة التحرر في بناء المجتمعات لم تكن الحرية يوماً هبةً مجانية تجود بها الأقدار على الشعوب المستكينة، ولا سلعة عابرة تُشترى بالمال، والشرط الأساسي لوجوده الكريم ونهضته. والتاريخ في كل فصوله يؤكد أن الأوطان لا تنال سيادتها بالمصادفة، من هذا المنطلق، نجد أنفسنا أمام تساؤل جوهري حول كنه هذه القيمة الغالية، وما الذي يدفع المجتمعات لتقديم أثمان باهظة في سبيل الانعتاق، وكيف تنعكس ممارسة الحرية على واقع الشعوب ومستقبلها السياسي والحضاري. إن للحرية الحمراء باباً بكل يد مضرجة يُدق، ويؤكد أن الانعتاق من قيود التبعية والاستبداد له ثمن مكتوب بالدم والشهادة. فالأيدي المضرجة هي تلك السواعد الكادحة والمقاومة التي رفضت الاستسلام، ليخبرنا هذا النص بأن السيادة لا تُنال بالرجاء أو الاستجداء بل تُنتزع انتزاعاً، وإذا تتبعنا الدوافع العميقة التي تحرك المجتمعات نحو كسر هذه القيود، يكمن السبب الأول في الرغبة العارمة لصون الكرامة الإنسانية وتحقيق العدالة الاجتماعية المفقودة، فالمجتمعات التي يسيطر عليها التضييق تذبل فيها العقول وتموت روح المبادرة، ومتى ما تمكن المجتمع من فتح ذلك الباب العصي وممارسة حريته بوعي، تظهر في واقعه نتائج حتمية تعيد تشكيل هويته وتضمن استمراريته. فحين يمتلك الأفراد حق التعبير والمشاركة الحقيقية في صنع القرار، يختفي الشعور بالتهميش والظلم، وبناء مؤسسات متينة قادرة على مواكبة العصر وتحقيق الاكتفاء الذاتي. يتضح لنا أن الحرية هي النبض الحقيقي الذي يمنح المجتمعات الحق في البقاء والتميز بين الأمم. وإذا كان الوصول إليها يتطلب عبور طريق وعر معمد بالتضحيات الجسيمة كما صورها شوقي، فإن الحفاظ عليها بعد نيلها يتطلب وعياً جمعياً ومسؤولية مضاعفة.

lakhasly.com © تم تلخيص النص بواسطة موقع لخصلي